الموت قبل الموت
منظر مقارن في الميراث الصّوفيّ التعليميّ والنيرفانا البوذيَّة

علي محمود هاشم
باحث وأستاذ محاضر في الأديان المقارنة - لبنان

ملخص إجمالي:

يعالج هذا البحث فكرة الموت بعد الموت في الفكر الصوفيِّ، أو ما يُعبَّر عنه بالموت الإراديِّ، وما يعقبه من ولادة متجدِّدة للإنسان وبقاء في الله، بتحديد المفاهيم وبيان المؤدّيات الخاصَّة بها، ويقارب ذلك بما هو موجود في الميراث الروحيِّ للأديان، ويعني بها النيرفانا (Nirvana) في الفكر البوذيِّ. وقد سعى للإجابة عن تساؤل رئيسيٍّ هو: ما هي حقيقة الموت بعد الموت والفناء في الله في الفكر الصوفيِّ الإسلاميِّ؟ وما مدى اشتراكه مع النرفانا البوذيَّة والتي تعني الصمت المطلق (الانطفاء)؟ وكيف انعكس ذلك في المنظومات التعليميَّة الصوفيَّة ؟، علمًا أنَّ الموت الإراديَّ في الثقافة الإسلاميَّة له معان عدَّة، منها: السّيطرة على النّفس كاملاً لا إعدامها وإتلافها (Destruction). وقد استخدم الباحث المنهج الوصفيَّ التحليليَّ مستعرضًا الآيات والأحاديث وشواهد ونصوص كبار العرفاء والمتصوِّفة.

* * *

مفردات مفتاحية: الموت قبل الموت، الولادة المتجدِّدة، الموت، النيرفانا، الفناء في الله.

علوم المبدأ
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

المقدمة

كان الاطمئنان الرُّوحيُّ والتَّحرُّر من المتعلّقات الماديَّة والنّفسيَّة، ولا يزال المبتغى الأسمى الذي سعى إليه العرفاء المسلمون بكلّ شوقٍ وشغفٍ، يظهر ذلك في بياناتهم وكتاباتهم وشروحهم وتعليقاتهم، كما وضعوا بين أيدينا منازل وأحوال لتحقيق هذا الأمر، أهمُّها حال الموت قبل الموت أو الموت الإراديُّ وما يعبرَّ عنه بالفناء في الله، حيث يقوم العارف بإماتة نفسه اختيارًا قبل موته الطبيعيِّ القهريِّ ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[1]، إماتةً يخليّ فيها نفسه من صفاته الطيّنيَّة غير الألوهيَّة ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[2]، ويحلّيها بالصِّفات الرُّوحيَّة الرّبانيَّة ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ**﴾[3]، أي يفنى في الله ويبقى في الله ويكون في الله وبالله ولله، مما يجعله متماهيًا في وجوده مع الله.

ولا ينحصر هذا الأمر بالفكر الإسلاميِّ بل نجد له حضورًا ملحوظًا في الثّقافة الروحيَّة للأديان، وخصوصًا الدّيانة البوذيَّة لما تحويه من ارتقاءٍ روحيٍّ يحكم جميع مراتب سعة الإنسان الوجوديَّة، ليصل في نهاية الترقّي إلى النيرفانا، أي الصمت المحض والصمت بعد الصّمت، وهذا بنفسه ما يدعو إلى البحث حول جهات الترابط والتمايز بينها وبين الفناء الصّوفيِّ، فضلاً عن مشاركة المفهوم في الولادة المتجدِّدة التي تعقب الصَّمت والفناء.

هذا الأمر ينعكس بدوره على مفهوم الموت في الفكر الروحيِّ، حيث يشار،عادة، إلى نوعين من الموت، وعدم التفكيك بينهما كما عدم إعادة صياغة كلِّ مفهومٍ منهما يؤدّي لا محالة إلى خلطٍ، ولو جزئيٍّ، وسوء فهمٍ في إطلاق الاصطلاح المتواضع عليه واستعماله، خصوصًا إذا تمَّ الحديث عنه كمرتبة من مراتب تكامل النَّفس له مراحل ومنازل خاصَّة به، فهو قنطرة تعبر بالسَّالك من عالم المادَّة المحضة إلى عالم البرزخيّة والمثال، وهذا بالتأكيد هو الموت الطبيعيُّ الحتميُّ والذي هو نهاية حياة الحيوان في نشأته الدّنيويَّة[4]، هذه النّهاية لها خصوصيَّات بنيويَّة:

إنَّ الموت فعل فيه قضاء على كلِّ فعل؛ إماتة الحركة (No Activity)، لا أنَّه فعل موتٍ نشط (Actively Dying).

---

[1]- سورة العنكبوت، الآية: 57.

[2]- سورة الشّمس، الآية: 10.

[3]- سورة الأعلى، الآية: 14.

[4]- لقد تحوَّل الموت في الأبحاث الدينيَّة الفلسفيَّة إلى مسألة يسعى الفلاسفة والحكماء لتقديم أجوبة علميَّة وميتافيزيقيَّة عليها، هذه المسألة تتضمَّن إشكالاً (Problematic) ومشكلة (Problem)، الإشكال صفة تُطلق على كلِّ شيءٍ يحتوى في داخل ذاته على تناقض وتقابل في الاتِّجاهات وتعارض عمليّ، أمَّا المشكلة فهي طلب هذا الإشكال بوصفه شيئًا يجب التّخلُّص منه برفع هذا الطابع الإشكاليِّ وإزالته؛ إذًا، المشكلة تتضمَّن شيئين: الشعور بالإشكال ومحاولة تفسيره. راجع: خيري حازم مشكلة الموت في الثقافة العربيَّة، المقدِّمة.

إنَّه نهاية للحياة بمعنى مشترك. (End Of Life)، حيث قد تكون هذه النهاية بمعنى خروج كلِّ ما بالقوة إلى عالم ما بالفعل وبلوغه حدَّ الكمال الخاصَّ به، كما يُقال عن ثمرة من الثمار إنَّها بلغت نهايتها، بمعنى تمام نضجها واستنفاد إمكانيَّات نموِّها، وقد تكون بمعنى عدم خروج كلِّ ما بالقوَّة ووقف الإمكانيَّات عند حدّ، مع بقاء كثير منها غير متحقِّق بعدُ.

إنَّه إمكانيَّة معلَّقة، (Suspended certainty) إن صحَّ التعبير، بمعنى أنَّه لابدَّ من أن يقع يومًا، يقول الإمام الصادق (ع): ما خلق الله عزَّ وجلَّ يقينًا لاشكَّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه من الموت[1].

وعن الإمام عليٍّ (ع): ما رأيت إيمانًا مع يقين أشبه منه بشكٍّ على هذا الإنسان، إنَّه كلَّ يوم يودّع إلى القبور ويشيّع، وإلى غرور الدنيا يرجع، وعن الشَّهوة والذُّنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنبٌ يتوكّفه ولا حساب يقف عليه إلَّا موتٌ يبدِّد شمله ويفرِّق جمعه ويوتّم ولده، لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشدِّ النَّصب والتَّعب[2].

ويقول باسكال: «إنَّني في حالة جهلٍ تامٍّ بكلِّ شيء، فكلُّ ما أعرفه هو أنَّني لابد من أن أموت يومًا ما، ولكنني أجهل كلَّ الجهل هذا الموت»[3].

إنَّ الموت متحايث بقضيَّتين متخالفتين، فهو حدث كليٌّ (كلّيَّة مطلقة من ناحية)، وحدث جزئيٌّ(جزئيَّة مطلقة) من ناحية أخرى. فكلُّنا فانون، ولكنَّ كلاًّ منا يموت وحده، ولابد أن يموت هو نفسه، ولا يمكن أن يكون واحدًا آخر بديلاً.

ولكن نجد العرفاء والمتصوِّفة وعلماء اللَّاهوت والكهنوت يتحدَّثون في كتبهم وتعاليمهم عن نوعٍ آخر من الموت يختلف من حيث الوجود عن الموت المتعارف، إنَّه الموت الإراديُّ والأجل الاختياريُّ أو الموت قبل الموت و«الفناء الصوفيّ» (The mystical Annihilation)، كما يتحدَّثون أيضًا عن الموت الأحمر[4] أو التّسلُّط على النّفس، وخلع الجسد أو عروج الرُّوح ورجوعها باختيار العارف[5].

---

[1]- الصدوق محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج1، ص: 194.

[2]- المجلسي محمد باقر، بحار ألأنوار، ج6، ص: 137.

[3]- بركات أمل، فلسفة الموت، ص: 10.

[4]- وأيضًا يقسِّمونه إلى الموت الأبيض والأخضر والأسود والأحمر، راجع: معتمدي مسعود، مرگ ارادی (تسلط بر نفس)، ص: 186، والموت الأبيض هو تحمُّل الجوع، والموت الأخضر هو القناعة ولبس الخرق، والموت الأسود هو تحمُّل الأذيَّة والعذاب، والموت الأحمر هو التسلّط على النفس أو خلع الجسد وعروج الرّوح بإرادة العارف. راجع: معتمدي مسعود، تحليل موت ارادی در مثنويهای عطار، القسم الأول، ص: المقدِّمة.

[5]- معتمدی مسعود، تحليل موت ارادی در مثنويهای عطار، ص: 1.

علوم المعاد
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

الموت قبل الموت أو الموت الإراديّ

ما هو المراد بهذا النَّوع من الموت؟ (What).

كيف يمكن للإنسان أن يميت نفسه قبل الموت؟ (How).

ما هي الثّمرة والفائدة في موت كهذا؟ (Why)

ولطالما شغلت هذه الأسئلة وأمثالها ذهن العرفاء والمتصوِّفة لما فيها من تضارب مفهوميٍّ داخليٍّ، والمنشأ الأساسيّ لاعتقاد كهذا قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ **فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**﴾[1]، وقول النبيِّ (ص): «موتوا قبل أن تموتوا»[2]، وأيضًا الحديث المشهور « من أراد ينظر إلى ميّتٍ يمشي فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب»[3].

فما معنى «اقتلوا» و «موتوا»؟، خصوصًا أنَّ كلَّ إنسان يحرِّم عليه قتل نفسه ﴿**... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾[4]، ومحكوم بالموت والفناء ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[5] ، وهذا هو مقتضى الموت الطّبيعيِّ للإنسان والأجل الاختراميِّ الذي لا مفرّ منه ﴿

---

[1]- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. سورة البقرة، الآية: 54.

[2]- استشهد صدر المتألّهين بهذا الحديث منسوبًا إلى النبيِّ (ص). شرح أصول الكافي، ج1، ص: 359، ووصفه الفيض الكاشاني بالحديث المشهور. الوافي، ج4، ص:412، وتبعه على ذلك العلّامة المجلسي بحار الأنوار، ج69، ص: 59، والأصل فيه ـ بحسب الظاهر ـ بعض كتب ابن عربي. تفسير ابن عربي، ج1، ص:81، والقونوي، شرح فصوص الحكم، ص: 130، ولم نعثر عليه في كتبنا الأصليَّة، وقال العجلوني: «موتوا قبل أن تموتوا» ، قال الحافظ ابن حجر: هو غير ثابت، وقال القاري: هو من كلام الصوفيَّة. كشف الخفاء، ج2، ص:291.

وقد صرّح بديع الزمان فروزانفر في تعليقته على قول جلال الدين الرّومي: اى خنک آن را که پيش از مرگ مرد ----- يعند او از اصل اين زر بود برد، أنّ هذا البيت إشارة إلى الحديث موتوا قبل أن تموتو، والذي تنقله الصّوفية، وقد صرّح محمد بن خليل القاوقجي صاحب كتاب «اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» نقلاً عن ابن حجر أنّ هذا ليس بحديث، وقد ذكر صاحب المنهج القوي الحديث «حاسبوا أعمالكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وموتوا قبل أن تموتوا». المولوي يوسف بن أحمد، المنهج القوي في شرح المثنوي، ج4، ص: 313، وأحاديث وقصص مثنوي، ص: 370.

[3]- هذا الحديث في رسالة السّير والسّلوك المنسوبة إلى السيّد بحر العلوم، ص: 110، وأيضًا رسالة لبّ اللباب للسيد محمد حسين الطهراني، ص: 74، وقد علّق السّيد في حاشية رسالته بالقول:

لم أجد هذا الحديث رغم كثرة الفحص والتّتبّع، نعم وجدت في تفسير القرآن الكريم للملاَّ صدرا في تفسير سورة السّجدة حديثًا يقول فيه: فلينظر إليّ. انتهى.

ولكن ما هو مشهور هو: « فلينظر إلى أبي بكر بن أبي قحافة «، وهذا ما أورده عين القضاة الهمداني في التمهيدات، ص: 14، 52، 287؛ والميبدي في تفسير كشف الأسرار، ج9، ص: 327؛ وعبد القادر الجيلاني في سرّ الأسرار ومظهر الأنوار، ص: 468؛ وأبو ياسر البدليسي في بهجة الطّائفة، ص: 67؛ والسّهروردي في عوارف المعارف، ج2، ص: 601، وعبد الرزّاق الكاشاني في كشف الوجوه، ص: 142؛ والقيصري في شرح الفصوص، ص: 130؛ وعبد الرحمن الجامي في هفت أورنگ، سلسلةالذهب، الدفتر الثاني، ق: 71؛ والشّعراني في العهود المحمّدية، ص: 887.

كما أنّ الملاَّ صدرا قد ذكر الحديث في إيقاظ النّائمين، ص: 57، وتفسير القرآن الكريم، ج3، ص: 399؛ وج4، ص:408؛ وج6، ص:117.

[4]- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾. سورة النّساء، الآية: 29.

[5]- سورة العنكبوت، الآية: 57.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ...﴾[1]، ولا تبديل لوقته ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]، فلا يمكن لأحدٍ أن يموت قبل موته مما يعني إبهامًا معرفيًّا حادًّا لمفهوم الموت قبل الموت ومفهوم حثٍّ الأحاديث والعرفاء على موت كهذا. يقول سنائي:

بمير ای دوست پیش از مرگ اگر می زندگی خواهی

که ادریس از چنین مردن بهشتی گشت پیش از ما[3]

إذا رمت الحياة فمت يا صاحِ وكنْ كادريسَ في روضِ الرّواح

ويعني: مُت يا صاح إن رمت الحياة فإدريس[4] النّبيّ نال الجنَّة من قبل بهذا الموت.

والمراد بالموت هنا الموت الأعظم، أي الموت الإراديَّ الذي يجب أن يصل إليه السّالكون التّائهون في بقاع العشق الإلهيِّ مقابل الموت العظيم، أي الموت الطبيعيّ[5]، كما أنَّ الجنَّة هنا تعني السّماء الثامنة، وهي أعلى سماء في الطبقات المعرفيَّة العليا، وهي حظيرة القدّس[6] والفردوس

---

[1]- سورة النّساء، الآية: 78.

[2]- سورة الأعراف، الآية: 34.

[3]- سنائی، الدّيوان، القصيدة 1، بيت: 13.

وفي نسخة: اگر می زندگی جویی.

[4]- يخلط البعض بين إدريس النبي وبين هرمس الحكيم.

[5]- ترجمه رسالة الأنوار و الرساله إلى الإمام الرازي، ص: 5.

[6]- قال صاحب معجم غياث اللُّغات: الجنّة الأولى الخلد، الثّانية دارالسلام، الثّالثة دارالقرار، الرابعة جنّة عدن، الخامسة جنّة المأوى، السّادسة جنّة النّعيم، السّابعة عليّون، الثّامنة الفردوس.

ويقول نظامی مخاطبًا الله: هفت فلک با گهرت حقه ای هشت بهشت از علمت شقه ای.

أي: أنَّ الأفلاك السّبعة في جنب حقيقتك وجوهرك قليلة والفردوس من علمك بضعة. راجع: نظامي گنجوی، مخزن الأسرار، خطاب زمين بوس، بيت: 26.

وقد ذكرت درجات الجنّة في القرآن الكريم، قال تعالى:

دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سورة الأنعام، الآية: 127.

جنات عدن: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾. سورة مريم، الآية: 61.

جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾. سورة لقمان، الآية: 8.

دار المقامة: قال عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾. سورة فاطر، الآيتان: 34-35.

دار الخلد: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾. سورة هود، الآية:108.

جنة المأوى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾. سورة النجم، الآية: 15.

الحيوان: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ . سورة العنكبوت، الآية : 64.

الفردوس: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سورة المؤمنون، الآيتان: 10-11.

المقام الأمين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. سورة الدخان، الآية: 51.

مقعد صدق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾. سورة القمر، الآيتان: 54-55.

الأعلى[1] لا جنّة الأفعال[2]، وهذا بحسب بعلم السّالك، فعلم الآداب وسّنن العبوديَّة، وعلم التهذيب، والعلم بالله والمعرفة به، فتكون جنَّة الذات غاية المعارف الإلهيَّة وجنّة الصّفات نتيجة تهذيب النّفس وجنَّة الأعمال صورة القيام بالعبوديَّة[3].

والنّبيُّ إدريس في النّصوص العرفانيَّة نموذج للسّالك الذي قطع كلَّ التّعلُّقات واللذائذ الدّنيويَّة وكلَّ الآمال في هذا العالم ومات قبل الموت بموته الاختياريِّ[4]، ويروي المؤرِّخون ومقتفو آثار النّبوَّات أنَّه كان مصاحبًا لملك الموت، فقال له يومًا أمتني حتّى أذوق شدَّة أخذ الرّوح فقبض ملك الموت روحه، ثمَّ أحياه الله تعالى ورفعه إليه[5] كما قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾[6]، كما يرى ابن عربي أنَّه وصل إلى مرتبة التّقديس، أي شدَّة التجرُّد، ويساوي بينه وبين النّبيِّ إلياس(ع)، حيث اعتقد لهما حشرين، حشر في كسوة النّبيِّ محمّد(ص)، وحشر في كسوة ولي من أولياء محمّد(ص)[7].

ويقول العطّار:

---

[1]- عن رسول الله (ص): الجنة مئة درجة، ما بين كلِّ درجتين منهما كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس. راجع: ابن حنبل أحمد، المسند، رقم الحديث: 22738.
وهي، أي جنّة الفردوس، ربوة الجنَّة وأوسطها وأفضلها، وعنها قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾. سورة الغاشية، الآية: 10.
وروي عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « مَن صلّى هؤلاء الصلوات الخمس ، وصام رمضان كان حقًا على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه «.
قلت : يا رسول الله ، ألا أخرج فأؤذن الناس ؟، فقال : « لا ، ذر الناس يعملون ، فإنَّ الجنة مائة درجة ، بين كلِّ درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهي أوسط شيء في الجنَّة، ومنها تفجر أنهار الجنَّة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس «. الترمذي، الصحيح، رقم الحديث: 2531.
وعنه (ص): « إذا سَأَلْتُم اللهَ تعالى فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ؛ فإنَّهُ سرُّ الجَنَّة «. الترمزي، الصحيح، رقم الحديث: 4203.
[2]- لأنّ هناك جنّة الأفعال وجنّة الصّفات وجنّة الذّات، فجنّة الأفعال عبارة عن الجنّة التي يدخلها الإنسان نتيجة تجسّد الأعمال، إذ لأعمال الإنسان صور باطنيّة وملكوتيّة تتجسّد فيها صورته الأخروية وتتشكّل، وتكون نتيجة أعماله الصّالحة جنّته الأفعالية أو ما يعبّر عنه بالجنّة الجسمانية أو جنّة النّفس أو جنّة الأعمال، وجنّة الصّفات عبارة عن الجنّة التي يدخلها الإنسان نتيجة تجلّي أسماء وصفات الحق في قلبه بالرّياضات والمجاهدات لكن لا يرتقي بها إلى تمام المعرفة بل يدركها بكمالها المتوسط ، ورغم كون أهل جنّة الصّفات أو جنّة المتوسّطين يتنعّمون باللذائذ الحسيّة والماديّة إلا أنّهم لا يغتمّون من فقدان اللذائذ الرّوحيَّة، وجنّة الذّات عبارة عن الجنّة التي يدخلها الإنسان نتيجة تجلّي وظهور المعرفة بالذّات الإلهيَّة والوصول إلى التّوحيد الذي ينصرف فيه الإنسان عن كلّ ما سوى الله تعالى، حتىّ اللّذائذ والمعنوية بعد الوصول إلى لذّة الجمال الإلهي والأنوار والكمالات غير المتناهية وهي جنّة الوحدة وجنّة اللقاء والرّوح، وفيها كذلك مشاهدة الله في المظاهر الآفاقيّة والأنفسيّة. راجع: الخميني روح الله، شرح چهل حديث، ص: 412؛ تعليقات على شرح فصوص الحكم، ص:194؛ وكشف الأسرار، ص" 137 وتقريرات فلسفه امام خميني، ج3، ص: 479 و وآداب الصّلاة، ص: 165، الآشتياني جلال‌الدين، شرح مقدمه قيصرى بر فصوص‌الحكم، ج1، ص:648، الخوارزمى حسين بن حسن، شرح فصوص‌الحكم محى‌الدين بن عربى، ج1، ص:296؛ الكاشاني عبد الرزّاق، اصطلاحات الصوفيه، ج1، ص: 41، الآملى حيدر بن على، جامع‌الاسرار و منبع‌الانوار، ج1، ص:275.
[3]- الخميني روح الله، خمينى، روح الله، شرح چهل حديث، ص: 413.
[4]- بورنامداريان تقي، داستان بيامبران در كليات شمس، ج1، ص: 245.
[5]- شفيعي كدكني محمد رضا، تازيانه سلوك، ص:251.
[6]- سورة مريم، الآيتان: 56 – 57.
[7]- إنّ تعريف شخصيّة النبي إدريس متفاوتة عند ابن عربي، فهو يرى أنه بقوسه الصّعودي إدريس وبقوسه النّزولي إلياس، كما أنه يرى أنهما ركنان من أركان الكعبة وهما في آخر الزمان إما من الأقطاب أو من الأئمة، وهما أيضًا في مقام الأبدال إدريس وفي مقام الأوتاد إلياس. راجع: الآملي حسن زاده، ممد الهمم در شرح فصوص الحكم، ص: 123، وص: 138.

اگر پیش از اجل مرگیت باشد ز مرگت جاودان برگیت باشد[1]

والمعنى:

وإن كان موتك قبل الأجل فأنت بخلدكْ ضمنت العَجَل

ويقول مولانا جلال الدّين الرّومي:

ای خنک آن را که پیش از مرگ مرد یعنی او از اصل این رز بوی برد[2]

يا هنا لمن سمى من قبلِ موتٍ هاهنا فقد جنى لونَ البقا من أصل جنّاتٍ هنا

والمراد بالجنّات هنا تأويل كلمة "رز"، "درخت رز"والتي تعني شجرة العنب، أي أصل العشق والمحبّة الإلهيَّة، في إشارة منه إلى أنّ سعادة الإنسان تكمن في أن يموت قبل الموت ليذوق خمرة العشق الإلهيِّ، ويسكّر في الحالات والأحوال فيطّلع على ملكوت السّماوات ويكون من الموقنين فتتلوّن روحه بأطياف تلك الحقيقة الحقّة، ﴿**ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾[3]، ولا يبقى منخدعًا بالظواهر والظّلال، ﴿**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ**﴾[4].

وكما أنَّ للعنب مراحل ثلاثًا ليصبح ماء العنب خمرًا أو نبيذًا، خلًّا، فكذلك على السّالك أن يقطع ثلاث مراحل سلوكيَّة ليتخلّل في الله ولا يبقى من شبحه شيء، من هنا قال الإمام زين العابدين (ع): " اللهمّ ارزقني التّجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت"[5]، والموت يختلف معناه عن الفوت والمراد به هنا الموت الاختياري بدليل قوله (ع):

"وصحبوا الدّنيا بأبدانٍ أرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلى"[6].

ما حقيقة الموت الإراديّ؟

ذكر داوود القيصريُّ في شرحه على حديث موتوا قبل أن تموتوا أنَّ: "الموت الإراديَّ الذي يحصل للسّالكين المتوجِّهين إلى الحقِّ قبل وقوع الموت الطّبيعيِّ، قال عليه السّلام: موتوا قبل أن تموتوا، فجعل الإعراض عن متاع الدّنيا وطيّباتها والامتناع عن مقتضيات النّفس ولذّاتها وعدم اتّباع الهوى موتاً"[7].

---

[1]- العطار فريد الدين، الهي نامه، ق: 13، بيت: 15.
[2]- الرّومي جلال الدّين، المثنوي، الدفتر الرّابع، بيت: 1372
[3]- سورة الحج، الآية: 62.
[4]- سورة المطففين، الآية: 25.
[5]- الصّحيفة السجّادية، ص: 277.
[6]- المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار، ج75، ص: 76.
[7]- القيصري داوود، شرح فصوص الحكم، ص: 130.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

وبناءً عليه، فإنَّ تحقيق الموت الإراديِّ يتلخّص في أمور عدَّة هي:

الإعراض عن متاع الدّنيا.

اجتناب الملذَّات النفسانيَّة.

عدم متابعة الهوى.

وأشار عين القضاة الهمدانيُّ في كتاب "التّمهيدات" بقوله: "إعلم أيّها العزيز أنّ ذلك العالم حياةٌ في حياة، وهذا العالم موتٌ في موت، فإذا لم تعبر عن الموت فإنّك لن تصل إلى الحياة، وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان".

"لن يدخل ملكوت السّماوات من لم يولد مرّتين، مرّة يخرج فيها من بطن أمّه[1] حيث يرى الدّنيا، ومرّة يخرج من نفسه حيث يرى ذلك العالم الباقي (الآخرة)، ويرى الله".

"وإن أردت ما هو أفضل وأعلى فاستمع إلى ما يخبرنا الله به عن قومٍ قالوا: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾[2]،" يعني أنَّ هناك موت خلف هذا الموت وحياة أخرى غير هذه الحياة، لا بل ما هو أتمّ من ذلك وأرقى عن الحياة والموت المعنويَّين في قول المصطفى (صلى الله عليه وآله): اللهمّ بك أحيا وبك أموت"[3].

والّلافت تأويله الآية بالموتتين بالموت الطبيعيِّ والموت الإراديِّ، والإحياءين بالإحياء الطبيعيِّ والإحياء الاختياريِّ والولادة المتجدِّدة[4].

وعليه، يكون الموت قبل الموت هو إماتة الصّفات النّفسانيَّة والخُلُقيَّة المذمومة وكلِّ الخصال غير الحميدة، وتكون الولادة المتجدِّدة هي إحياء الصّفات الرّوحانيَّة والخُلُقيَّة الممدوحة وكلّ الخصال الحميدة، وهذا هو معنى الحياة الطيّبة، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[5].

فالإماتة هي إماتة عن الذّات والإحياء هو الإحياء في الله، وهو ما ذكره النّجم الرّازي بعبارة موجزة: إماتة الصّفات الذّميمة في النّفس وإحياء القلب بالصّفات الحميدة[6]، وهذا يرجع في

---

[1]- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. سورة النّحل، الآية: 78.

[2]- سورة غافر، الآية: 11. ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

[3]- الهمداني عين القضاء، التّمهيدات، ص: 319.

[4]- اختلف العلماء والمفسرّون في تفسير قوله ﴿ربّنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين...﴾، وذهب العلاَّمة الطباطبائي إلى أنَّ المراد هو الإماتة في الدّنيا والإماتة في البرزخ، والإحياء في البرزخ ثانيًا والإحياء في القيامة. الطباطبائي محمد حسين، تفسير الميزان، ج17، ص: 475.

[5]- سورة النّحل، الآية: 97.

[6]- النجم الرازي محمد، مرصاد العباد، ص: 364.

الحقيقة إلى كلام حاتم بن عنوان الأصمّ، أحد المتصوِّفة المتقدِّمين حيث يقول:

"إنَّ كلَّ من سلك في هذا المذهب عليه أن يذوق أربع حالاتٍ من الموت:

الموت الأبيض، وهو الجوع.

الموت الأسود، وهو الصّبر على خلق واحتمال أذاهم.

الموت الأحمر، وهو العمل ومخالفة الهوى.

الموت الأخضر، وهو لبس الرِّقاع والثّياب الرثّة[1].

الموت الاضطراريُّ والموت الإراديُّ تشابه واختلاف

نستخلص ممَّا تقدَّم أنَّ كلا الموتين يشتركان في اللَّفظ ويختلفان في المعنى، فالأول موت الجسد والثاني موت النّفس، ووحدة النّتائج والمعطيات دعت العرفاء إلى إطلاق لفظ الموت على كليهما، ومع ذلك يمكن تقديم بعض المشتركات بينهما:

يصل الإنسان بالموت الاضطراريِّ قهرًا إلى حقائق لا يمكن له الوصول إليها غالبًا في حياته، قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[2].

هناك الكثير من الحُجب موضوعة على الإنسان لا ترتفع إلَّا بالموت، قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[3]، وقول النبيّ (ص): "النّاس نيامٌ متى ما ماتوا انتبهوا"[4]، وهذا تمامًا ما يحصل للسّالك بالموت الاختياريِّ حيث يطّلع على أشياء لا يطّلع عليها إلَّا بالموت وتنكشف له حقائق لم يدركها بغيره، قال القيصري:

"لذلك ينكشف للسّالك ما ينكشف للميّت[5]"، ويسمّى بالقيامة الصّغرى "، هذه التّسمية مقتبسة من الحديث الشّريف: "إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، يرى ما له من خيرٍ وشرٍّ"[6]، في قبال القيامة الكبرى حيث هناك تبلى السّرائر وتفشى جميع الأسرار، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾[7]،

---

[1]- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيريَّة، ص: 43.

[2]- سورة يونس، الآية: 90. قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[3]- سورة ق، الآية: 19.

[4]- المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار، ج50، ص: 116.

[5]- القيصري داوود، شرح فصوص الحكم، ص: 130.

[6]- المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار، ج58، ص: 7.

[7]- سورة الطّارق، الآية: 9.

فكذلك ترفع الحجب عن عيون العرفاء ونفوسهم فيشاهدون بعض أسرار الأزل لا يعلمها لا أنت ولا أنا[1].

تكون يد الميّت في الموت الاضطراريِّ قاصرةً عن نوال الدّنيا ومتاعها، قهرًا لا رغبة، وكذلك في الموت الاختياريِّفإنّ السّالك يحجم عنها ويتحرَّر من كلِّ ما له ارتباطٌ وتعلّقٌ بها، رغبةً لا قهرًا، إذ في الموت الاختياريِّ يكمن مفهوم قِيَميٌّ غير موجود في الموت الاضطراريِّ، من هنا يشمل الموت الاضطراريّ جميع النّاس بخلاف الاختياريِّ حيث يختصُّ بالأنبياء والأولياء والسّالكين الكمّل ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[2].

يموت اختيار الإنسان في الموت الاضطراريِّ، ويصبح جسدًا لا حول له ولا قوّة إلَّا ما يليه به أولياؤه وأحبّاؤه (وَارحَمني صَريعا عَلَى الفِراشِ تُقَلِّبُني أيدي أحِبَّتي، وتَفَضَّل عَلَيَ مَمدودًا عَلَى المُغتَسَلِ يُقَلِّبُني صالِحُ جيرَتي، وتَحَنَّن عَلَيَ مَحمولاً قَد تَناوَلَ الأَقرِباءُ أطرافَ جِنازَتي، وجُد عَلَيَ مَنقولاً قَد نَزَلتُ بِكَ وَحيدًا في حُفرَتي)[3]. وكذلك يموت اختياره في الموت الاختياريِّ ويكون الله تعالى ورغبته هي التي تحرّكه ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ** وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[4]، وهذا معنى الحديث القدسيّ: (ما تقرَّب إليَّ عبد بشيء أحبّ إليَّ مماَّ افترضت عليه، وإنَّه ليتقرَّب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته)[5].

هذا الأمر ذكره الرُّومي جلال الدّين بقوله:

اوليا اصحاب كهفند اى عنود در قيام و در تقلب هم رقود

مى كشدشان بى تكلف در فعال بى خبر ذات اليمين ذات الشّمال

چيست آن ذات اليمين فعل حسن چيست آن ذات الشّمال اشغال تن

مى رود اين هر دو كار از اوليا بى خبر از هر دو ايشان چون صدا[6]

ويعني أنَّ كلَّ ما جرى على أصحاب الكهف كان خارجًا عن إرادتهم، فنومهم وتقلّبهم وصحوهم

---

[1]- الهمداني عين القضاة، التّمهيدات، ص: 52.

[2]- سورة فصّلت، الآية: 35.

[3]- ميانجي على احمدي، شرح دعاء أبي حمزة، ص: 225.

[4]- سورة الأنفال، الآية: 17. ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

[5]- الريشهري محمد، ميزان الحكمة، ج3، ص: 692.

[6]- الرّومي جلال الدّين، المثنوي، الدفتر الأول، بيت: 3187 – 3190.

كلّه كان بيد الله ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[1]، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[2]

الأوليا هم أهل كهفٍ يا عنود في القيام والهيام هم رقود

يُقلبون، لا تكلّف في الفعال دون حسٍّ ذا اليمين وذا الشّمال

واليمين ما هي؟ فعل الحسن والشّمال عندهم، شغل البدن

كلّ فعلٍ منهم يصدر بحال دون علم كانَه رجعَ الجبال.

يرى العرفاء أنَّ لقاء الله بكلِّ معانيه الحقيقيَّة والمجازيَّة وكلّ ما يعتوره من محطّات ومنازل يستلزم موت الإنسان وطيّه البساط عن هذا العالم المادّيِّ، وعلى هذا جاء حديث رسول الله (ص): «إنَّ أحدكم لن يرى ربَّه حتى يموت»[3]، مما جعلهم، وهم عاشقون للقاء الله ورؤيته، يتوسَّلون بالموت الإختياريِّ كي يحظوا بخصيصة الموت الاضطراريِّ، لذلك عقّب القيصري بقوله: ذلك لا يحصل إلَّا بالموت لأنّ الملاقاة بين العبد وبين ربّه موقوفة على الموت، واعلم أنّ هذا الخطاب، أي قوله إنَّ أحدكم لن يرى ربّه حتى يموت، للمؤمنين الموحّدين لا الكافرين المحجوبين، لأنَّ المراد بالموت إما الموت الإراديِّ أو الطبيعيِّ، والأول الحاصل للعارفين موجبٌ للقاء الحقِّ بحسب تجلّياته الأسمائيَّة أو الصّفاتيَّة أو الذّاتيَّة...

والعابدون والزّاهدون والصّلحاء من عباد الله، فلا يحصل لهم اللقاء حتى يحصل لهم الموت الطّبيعيّ[4].

يُتخلّص بالموت الاضطراريِّ من آلام الجسد وعذاباته المادّيَّة والنّفسيَّة، وكذلك في الموت الاختياريِّ يتخلَّص العارف من العذابات النّفسيَّة وينعم بالاطمئنان، فينشغل بالله عن جسده وعن نفسه، ويصوِّر جلال الدّين الرومي حال الانعتاق هذا والتّحرُّر من الأسر المادّيِّ بقصّة السّمكات الثلاث، حيث تفرّ السّمكة الأولى من البحيرة قبل وصول الصيّادين، وتعلق السّمكة الثّانية في الشّبكة وتموت، بينما الثّالثة تتظاهر بالموت فتنجو.

مرده كردم خويش بسپارم به آب مرگ پيش از مرگ امن است از عذاب

مرگ پيش از مرگ امن است اى فتى اينچنين فرمود ما را مصطفى

[1]- سورة الكهف، الآية: 11.

[2]- سورة الكهف، الآية: 18.

[3]- القيصري داوود، شرح فصوص الحكم، ص: 160، وكذلك الخوارزمي حسين بن حسن، شرح فصوص الحكم، ج 2 ، ص: 780.

[4]- القيصري داوود، المصدر نفسه.

علوم المبدأ
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

گفت موتوا كلّكم من قبل ان يأتي الموت تموتو بالفتن[1]

ويعني:

موت نفسي وانغماسي في العُباب موتُ قبل الموت أمنٌ من عذاب

موتُ قبل الموت أمنٌ يا فتى هكذا قال الحبيب المصطفى

قالْ موتوا كلّكم من قبل أن يأتي الموت تموتوا بالفتن

وكذلك في قصّة النّحويِّ والنجَّار، أو النّحويِّ والمحويِّ، حيث بيّن مسألة الموت الاختياريِّ بتمثيلٍ رائع، إذ يجب أوّلًا الموت والتّسليم في بحر الحقيقة الهائج لا التّشبُّث والتّخبُّط طلبًا للنّجاة، لأنَّ هذا النّوع من البحور لا ينجو فيه الإنسان بالتّخبُّط ولا بالسّباحة، بل لا بدَّ من الغرق فيه والموت، ولا تجدي حالة الوعي والنّحو شيئًا بل لا الدّهشة والحيرة والضياع والغرق في وسعة هذا البحر وعمقه، فالمحو هو الباب نحو الآخرة، قال:

محو می باید نه نحو اینجا بدان گر تو محوی بی خطر در آب ران

آب دریا مرده را بر سر نهد ور بود زنده دریا کی رهد؟

جون بمردی تو ز اوصاف بشر بحر اسرارت نهد بر فرق سر[2]

يعني:

محو نفسكْ يجدِكَ لا علم نحو واترك البحر رهوْ إن كنت محو

فالعُييلم[3] يرفع من مات فيه كلّ حيٍ يغرق في ماء فيه

إن تكن متَّ من أوصاف البشر بحر أسرارك يضعك فوق راس

والمحو يعني الموت الاختياريَّ والفناء في الله، وهو على ثلاثة أنحاء:

- محو صفات، وهو محو الصّفات الذّميمة.

- محو مطلق الصّفات، وهو محو الصّفات أجمع حميدة أو ذميمة.

- محو ذات.

والمحو أعمُّ من الفناء، فإن مات الإنسان في البحر فالبحر سيرفعه ويلفظه من دون عناء، وإن

[1]- الرومي جلال الدّين، المثنوي، الدفتر الرّابع، بيت: 2271 – 2274.
[2]- الرّومي جلال الدّين، المثنوي، الدّفتر الأول، ب: 2841 – 2843.
[3]- تصغير عيلم وهو البحر.

رام النّجاة بالجهد والتّخبّط فسيغرق وينزل إلى الأسفل، وكذلك البحر الإلهيّ، فإن فنى الإنسان نفسه فيه تتنزّل عليه أسرار، وترتقي نفسه، وتتعالى نحو الحقِّ جلّ وعلا، كما أنّ علم النّحو هنا مثال العلوم الظاهريَّة التي تحجب النّفس وتزيد من كدورها ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

لا يأمل النّاس شيئًا من الميت ويأسون منه، ويطلبون ذلك من الحي ويتقرَّبون إليه، وكلّ ذي نعمةٍ محسود، يقول مولانا:

دشمنان او را ز غيرت می درند دوستان هم روزگارش می برند[2]

أي:

يُصْلِه أعداؤه شرّ الحسد يُخلِه عوّاده عزّ المَعِد

ففي موارد كهذه يكون الموت الاختياريُّ هو الحلّ، ويذكر الرّومي في قصّة الببغاء والتاجر، حيث وقع الببغاء أسير القفص بسبب حسن صوته وجمال ريشه، وهو عاشق للحرّيَّة ولم يعرف كيفيَّة الخلاص، فعلّمه ببغاء طليق الحيلة في ذلك، فتظاهر أمامه بالموت وسقط عن الشّجرة وجمدت جثّته، ففهم الببغاء الأسير ما ينبغي فعله فتظاهر بالموت وسقط في القفص، وجاء صاحبه فلما أخرجه طار عاليًا محلّقًا مزهوًّا بحرّيّته، قال:

گفت طوطی کاو به فعلم پند داد که رها کن لطف آواز و وداد

زانکه آوازت تو را در بند کرد خویش را مرده پي ان پند کرد

يعني اي مطرب شده با عام وخاص مرده شو چون من که تا يابي خلاص

دانه باشي مرغکانت برچنند غنچه باشي کودکانت بر کنند

دا نه پنهان کن بکلِّي دام شو غنچه پنهان کن کياه بام شو

هرکه داد او حسن خود را در مزاد صد قضاي بد سوی او رو نهاد[3]

أي:

فأجابت: فعلُها أوحى إليّ: أن دعي الحسنَ وذا الصوت الرضيّ[4]

---

[1]- سورة الأعراف، الآية: 176.

[2]- الرّومي جلال الدّين، المثنوي، الدّفتر الأول، ب:1837.

[3]- الرّومي جلال الدّين، المثنوي، الدّفتر الأول، ب:1830.

[4]- عزام عبد الوهاب، فصول من المثنوي، ص: 63.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

أنتِ في سجن بهذا المنطق موتها أوْحى بنصح المشفق
مُطرب الأقوام من عَمٍّ وخاص إن تمُت مثليَ تظفرْ بالخلاص
إن تكن وَردًا بطفل تُقتطفْ أو تكن حَبًّا بفَرخ تُختَطف
استر الحَب وكن كالشبكِ واستر الورد وكن كالحَسكِ
إخفي حبّك واصطبح شركاً خلوص إخفي زهرك واصطبح برعم سطوح[1]
من يُصيرِّ حُسْنَه رهن المزادْ يسرع الشر له من كل واد
كلّ من أبدى جمالاً في العلن عرّض النّفس لآفات المحن

ثم يقول في آخر القصّة:

معنِئ مردن زطوطي بد نياز در نياز وفقر خود را مرده ساز[2]

أي:

كان موتُ الببَّغا رمز الخضوع فأمِت نفسك في ذلٍّ وجوعْ
معنى موت الطّير ذاك محض نقص في احتياجك مثل موت الطّير قُص

ويعني عليك أيّها الإنسان في فقرك وحاجتك الوجوديّة أن تكون مثل هذا الطّائر وتصنع من موتك مرفقاً للحريّة والتّحرّر والانعتاق من أسر الدّنيا.

الموت قبل الموت والفناء

يمكن القول، مع كلّ ما تقدّم، أنّ الموت قبل الموت تعبير آخر عن الفناء العرفانيِّ، قال في كتاب التّعرُّف: "الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيءٍ من ذلك حظٌّ ويسقط عنه التّمييز فناء عن الأشياء كلّها شغلاً بما فني به، والحقّ يتولّى تصريفه فيصرِّفه في وظائفه موافقاته فيكون محظوظًا فيما لله عليه مأخوذًا عمّا له وعن جميع المخالفات فلا يكون إليها سبيل وهو العصمة"[3].

وكلام الكلابادي هذا يلحظ جميع ما يمكن أن يقال عن الموت قبل الموت أو الفناء عن صفات النّفس والبقاء في صفات الحقّ، ويؤكّد عزّ الدّين الكاشاني في كتابه "مصباح الهداية" أنّ تعاريف

[1]- أي مستورًا وغير ملفت.
[2]- الرّومي جلال الدّين، المثنوي، الدّفتر الأول، ب:1909.
[3]- الكلابادي أبو بكر، التّعرف لمذهب أهل التصوُّف، ص: 183.

العرفاء والمتصوِّفة مهما تكثّرت فإنها تشير إلى مسألةٍ وحدة الفناء والموت قبل الموت، فهما مفهومان يشيران إلى حقيقةٍ واحدةٍ، تتّحدان حقيقة وتختلفان لحاظًا[1].

وقال بعضٌ: المراد بالفناء هو الفناء عن المخالفات والبقاء في الموافقات، وقال آخر: الفناء هو زوال الحظوظ الدّنيويَّة والبقاء هو الرَّغبة في الحظوظ الأخرويَّة، أو أنّ الفناء هو عن الرَّغبات والحظوظ الدّنيويَّة والأخرويَّة والبقاء هو البقاء في الرَّغبة بالحقّ تعالى، هذا فضلاً عمّن قال: الفناء هو زوال السّالك عن الصّفات الذّميمة والبقاء هو بقاؤه في الصّفات الحميدة، والفناء هو الغيبة عن الأشياء والبقاء هو الحضور بالحق، وقال شيخ الإسلام: الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحقِّ سبحانه وتعالى على العبد، ويغلب كون الحقّ سبحانه على كون العبد، وهذه هي حقيقة الفناء[2].

وقال الكلابادي: والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عمّا له ويبقى بما في الله، وهو مقام النّبيّين ألبسوا السّكينة، والباقي هو ان تصير الأشياء كلّها له شيئاً واحداً فتكون كلّ حركاته في موافقات الحقّ[3].

ولا يخفى أنّ الموت قبل الموت، أي إماتة النّفس والصّفات النّفسانيّة هو مقدّمة للحياة في الله وأوصافه الجمالية، ففناء العارف مقدّمة لبقائه في الحقّ، فالفناء في الله هو البقاء في الله، كما أنّ الكمال كلّ الكمال هو فناء العارف عن فنائه، يقول الهجويري: "إنّ الفناء للعبد فناء عن وجوده مع رؤية جلال الحقّ وكشف عظمته فينسى بغلبة جلاله الدّنيا والعقبى، وتصبح الأحوال والمقامات في نظره حقيرة، كما تتلاشى عنده الكرامات، ويفنى عن العقل والنّفس ويفنى عن الفناء، وبهذا المعنى قال بعض المشايخ:

ففي فنائي فنى فنائي وفي فنائي وجدت أنت

محو اسمي ورسم جسمي سألت عني فقلت أنت"[4].

[1]- الكاشاني عز الدّين، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، ص: 426.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- الكلابادي أبو بكر، التّعرف لمذهب أهل التصوُّف، ص: 184.

[4]- الهجويري علي بن عثمان، كشف المحجوب، ص:317.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

وقد ذكر العطَّار[1] في منطق الطّير مسألة الفناء والبقاء بتمثيلٍ رائع وصوّره بطريقة مثاليّة، حيث شبّه العرفاء والسّالكين بالطّيور التي يقودها الهدهد (الشيخ المرشد) للوصول إلى ملك الطيور العنقاء، وهذه المنظومة من أروع ما سجّلته الثقافة الفارسيَّة العرفانيَّة الصّوفيَّة، حيث تبدأ باجتماع طيور العالم للبحث عن طائر تتخذه ملكًا، فالطلب والبحث والإرادة جاء منها، فهي مريدة، ثم يتقدَّم الهدهد ويعتلي المنبر ويوضح لهم السير والسلوك للبحث عن هذا الملك ومكانه. ثمَّ يتمُّ إجراء القرعة لاختيار المرشد والدليل فتقع على الهدهد فتتم مبايعته على الطاعة ويلتزم هو بخدمتهم وإيصالهم إلى السيمرغ، فهم المريدون وهو الشيخ والقصد الملك العلام.

مراحل الطريق:

يقسم العطَّار السير في الطريق إلى سبع مراحل:

وادي الطلب؛ هو واد مترع بالتَّعب والنَّصَب، وفيه الجد والجهد، وهو طهارة وتخلية[2].

وادي العشق؛ هو أيضًا تخلية مطلقة؛ لأنَّ السالك يتخلَّى عن كلِّ ما يملك ويتبرَّأ من كلِّ حول وقوة[3].

وادي المعرفة؛ هذا الوادي ثمرة من ثمار الوادي السابق حيث تبدأ الأسرار في الظهور، إلَّا أنَّ عليه أن لا يقنع منها باللوائح واللوامع بل يطلب المزيد دائمًا. وليس لهذا الوادي نهاية[4].

وادي الاستغناء؛ هذا الوادي تخلية أيضًا، فكلُّ ما في الدنيا لا قيمة له وأتفه من أن يضيع الإنسان فيه عمره[5].

---

[1]- ألف العطَّار كتبًا كثيرة أوصلها بعضهم إلى 114، وحدّدها الأستاذ سعيد نفيسي في 66 كتابًا منسوبًا إليه، ومع ذلك، فعدد كتبه الصحيحة النسب التي وصلتنا تسعة فقط. وجميع هذه الكتب شعريَّة عدا كتاب «تذكرة الأولياء». وأعظم مؤلَّفاته كتاب «منطق الطير» الذي استوحى عنوانه من قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، إن هذا لهو الفضل المبين﴾ (النمل: 16).

جميع الطيور التي تحدث عنها العطَّار حقيقية ما عدا ملك الطيور الذي رمز له باسم السيمرغ الذي هو طائر وهميٌّ لا وجود له في الحسّ. وأصل تسمية هذا الطائر الخرافيّ في الأوفستا «سين مورغ» أو «مورو» في البهلويَّة. وقد ذكر هذا الطائر في الأوفستا وفي البهلويَّة مرتبطًا بشجرة الحياة التي تنمو في ماء بحر فاركاش. وأن عشَّ هذا الطائر على شجرة طيّبة (طوبى)، وهي تعطي بذورًا كثيرة وأغصانها تنثر بذورًا تحيل الأرض خصبة إذا ما وقعت عليها». وعليه، فهو طائر عرف عند الفرس قبل الإسلام. أما عادة إنطاق الطير فقديمة. ففي القرآن نجد الهدهد يكلم سليمان (ع) ، كما أن كتاب «كليلة ودمنة» يصوِّر لنا مجموعة من الطيور التي تتكلَّم. والعطَّار حين إنطاقه للطيور كان يتكلَّم من داخل الثقافة الإسلاميَّة مستندًا إلى قصَّة سليمان وكذا إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات، كل قد علم صلاته وتسبيحه، والله عليم بما يفعلون﴾. سورة النور الآية: 40.

قصة منطق الطير من القصص الشعبيَّة المعروفة والمألوفة في الثقافة الفارسيَّة. وقد عرض لها ابن سينا بكيفيَّة فلسفيَّة في رسالة الطير حيث نجد الشيخ الرئيس يطير مع الطيور بخلاف العطار. والغاية عنده من رحلة الطير هو أن يخلصهم الملك من الشّباك. أمَّا عند العطَّار فالغرض هو الفناء في الله.

[2]- وعلى المريد السالك أن يجد في الطلب ولا ينكص على عقبيه وإلا فهو مرتد. والصبر لازم من لوازم الطلب.

[3]- فالعاشق مفلس في هذا الوادي. ومهره وصداقه هو روحه التي بين جنبيه.

[4]- والسالك قائم ليله ونهاره لتحصيل المعارف في هذا الوادي.

[5]- ويجب على السالك أن يستغني عن كلِّ شيء حتى عن قلبه وروحه.

وادي التوحيد؛ في هذا الوادي يغرق السّالك في الوحدة حيث تؤول الكثرة إلى القلّة، وهذه إلى الوحدة. فكلُّ شيء هو كلُّ شيء[1].

وادي الحيرة؛ بعد جوازه لوادي التوحيد وإثماره لديه نتائج التماهي مع كلِّ شيء يحصل للسالك الإضطراب والقلق والحيرة، فلا يفرِّق بين نفسه وبين ربه فتنهال عليه المصائب في كلِّ لحظة، ولا يدري أهو موجود أم غير موجود. فلا معرفة له بكنهه. والعشق مازال يدفعه إلّا أنَّه يجهل معشوقه، بل قد يصل إلى حافة الجذب فيستوي لديه الكفر والإيمان.

وادي الفقر والفناء؛ نهاية السالك هي في هذا الوادي حيث يفنى عن ذاته ويفنى في ربِّه، وله مرتبة أولى وهي الفناء عن ذاته وعن كلِّ شيء؛ ثمَّ هناك مرتبة ثانية وهي الفناء عن الفناء وهو البقاء بعد الفناء. فلا إرادة للسالك ولا شعور بالذات ولا وجود للأنا، فليس في الوجود سوى الله، ولا مشهود سوى الله، بل ليس هناك سوى.[2]

وفي الوادي السّابع يأتي النّداء:

محو ما گردید در صد عز و ناز تا به ما در خویش را یابید باز[3]

أي

قد فنيتم ظلّكم في فيئنا كي تعيدوا فيأكم في ظلّنا

فأنتم أيها السالكون قد وصلتم إلى مقام العنقاء فينا بعد مجاهداتٍ ووديان سلوك عديدة، لكنكم لن تجدوا أنفسكم ما لم تفنوا فينا لأنّ أصل وجودكم في الفناء فينا.

فكان جواب الطيور هو:

---

[1]- وهنا يفنى السالك عن نفسه وعن الزمان والمكان، وتتحد الصفة بالموصوف.

[2]- والطيور حين وصلت إلى السيمرغ أو العنقاء في قمة جبل قاف، وهي في غاية الفناء والمحو، جاءها حاجب العزة «فرأى أمامه ثلاثين طائرًا غاية في العجز، وقد أصبحت مجرَّد ريش وأجنحة بلا أرواح»، ومعناه أنها تلطَّفت وتجوهرت وزالت عنها كثافتها الحاجبة لها عن الوصول.

ثم «فنت أرواح الطيور فناء محضا... وانمحى من صدورهم كل ما صنعوه وما لم يصنعوه، وأضاءت من جباههم شمس القربة، فأضاءت أرواح الجميع من هذا الشعاع، وفي تلك الآونة رأى الثلاثون طائرًا طلعة السيمرغ في مواجهتهم، وعندما نظر الثلاثون طائرًا على عجل رأوا أن السيمرغ هو الثلاثون طائرًا. فوقعوا جميعًا في الحيرة والاضطراب، ولم يعرفوا هذا من ذاك، حيث رأوا أنفسهم السيمرغ بالتمام... فإذا نظروا إلى كلا الطرفين، كان كلٌّ منهما السيمرغ بلا زيادة ولا نقصان... فهذا هو ذاك، وذاك هو هذا... وأخيراً غرقوا جميعًا في الحيرة، وانخرطوا في التفكير بلا عقل ولا بصيرة... (ف) سألوا صاحب الحضرة بلا حروف سؤالاً، حيث طلبوا كشف هذا السر القوي، وطلبوا معرفة الإنيَّة والأنتيَّة. جاءهم الخطاب من الحضرة قائلاً بلا لفظ، إن صاحب الحضرة مرآة ساطعة كالشمس، فكلُّ من يقبل عليه يرى نفسه فيه». راجع: بديع محمد جمعة، منطق الطير، ص:421.

[3]- العطار فريد الدّين، منطق الطير، ب: 4285.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

محو او گشتند آخر بر دوام سایه در خورشید گم شد والسلام[1]

أي

قد صبحنا فيه محوًا في سلام تاه ظلٌّ في سراجٍ والسّلام

فبعد الفناء يصبح السالكون محوًا مقيمًا في الله تعالى كما يتيه الظلّ ويختفي في نور الشّمس، ثم يقول والسلام، حيث هنا السلام والأمن المقيم والخاتمة الخالدة ﴿**...سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾[2].

وبعد فناء جميع الطيور يبيّن العطار البقاء بعد الفناء بقوله:

بعد از آن مرغان فانی را بناز بی‌فنای کل به خود دادند باز

چون همه بی خویش و با خویش آمدند در بقا بعد از فنا پیش آمدند

تا نیابی در فنا کم کاستی در بقا هرگز نبینی راستی

اول اندازد بخواری در رهت باز برگیرد به عزت ناگهت

نیست شو تا هستیت از پی رسد تا تو هستی، هست در تو کی رسد؟

تا نگردی محو خواری فنا کی رسد اثبات از عز بقا[3]

أي

بعد محوٍ عاد أطيار الفناء إنّ محو الذّات إبقاء الأنا

جاؤا محواً كانوا محواً في ازدياد في البقا بعد الفنا عادًا بعاد

إن لم نعِ أن في الفنا نقصٌ حصَل لن نعي أن في البقا كونًا فصل

في العَدو نحو العلا ذلّ الوصال ثمّ عزّ بعده حال وقال

مه في العدم كي يكون لك الوجم[4] لا في الوجود إذ تكون في العدم

---

[1]- المصدر نفسه، بيت: 4295.

[2]- سورة الزّمر، الآية: 73. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

[3]- المصدر نفسه، بيت: 4271 ببعد.

[4]- الوجم في اللغة الصّخرة والمراد هنا الهوية والتّحقق.

إن لم نذق في المحو ذلًّا في الفنا لن نذوق العزّ من بعد الغنى.

وقفات استنتاجيَّة في التأويل الصّوفيّ

إلى ماذا ترمز الطيور، ومن هو الهدهد، ومن هي العنقاء أو السيمرغ، وأين يوجد جبل قاف، وما معنى الرحلة إلى السيمرغ على جبل قاف؟

يخبر العطَّار عن سلوك الأرواح المرموز لها بالطيور في طريق المحبَّة والمعرفة للوصول إلى الحقيقة، فالدوائر متعدِّدة ولكنها تنحل إلى خمس يسمّيها البعض بالحضرات[1]، ولفهم ذلك لابدَّ من أن نقول: إنَّ للوجود من حيث هو مرتبتين: الأولى مرتبة بطون؛ والثانية مرتبة ظهور، وتنقسم الأولى إلى مرتبتين:

مرتبة الذَّات المحض والهويَّة الصرفة، وهذه مرتبة اعتباريَّة فقط، ولا تتعقَّل الذات فيها إلَّا بتجرُّدها عن جميع القيود حتى عن قيد الإطلاق، وتسمَّى هذه المرتبة بالهو أو الله في أحد إطلاقاته الثلاثة.

مرتبة الأحديَّة المطلقة، وهي مرتبة اعتباريَّة أيضًا تتجرَّد فيها الذات عن كلِّ القيود والنّسب إلَّا عن قيد الأحديَّة، وهي نفسها مرتبة الهو إلَّا أنَّ حكمها نزل عن البساطة المحضة بنسبة الأحديَّة، وتسمَّى الذات في هذا الاعتبار بالأحد الذي هو اسم للموجود الذي ليس معه غير.

أمَّا المرتبة الثانية من مراتب الوجود التي هي مرتبة الظهور، فإنَّ كليَّاتها تنحصر في خمس وتسمَّى بالحضرات الخمس، أو المجالي الكلِّيَّة، أو المطالع أو المنصات أو غير ذلك من الأسماء[2]، وأولى تلك الحضرات الكليَّة حضرة الغيب المطلق، وفي مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة، فعالم الغيب المطلق هو عالم الأعيان الثابتة، وعالم الشهادة المطلقة هو عالم الملك، أمَّا الحضرة الثالثة فهي حضرة الغيب الإضافيِّ، وينقسم إلى قسمين، فمنه ما يكون أقرب إلى عالم الغيب المطلق، وهو ما يسمَّى بعالم الجبروت أو الملكوت، ومنه ما يكون أقرب إلى عالم الشهادة المطلقة وعالمه عالم المثال، أمَّا الحضرة الخامسة والأخيرة فهي الجامعة لكلِّ الحضرات السابقة، وعالمها العالم الإنسانيُّ الجامع لجميع العوالم، فعالم الملك هو مظهر عالم الملكوت أي العالم المثاليَّ المطلق الذي هو مظهر الجبروت أي عالم المجرّدات، وهو مظهر الأعيان الثابتة، وهو مظهر الأسماء الإلهيَّة

[1] يثربي يحيي، عرغان اسلامي، ص: 49.
[2]- رمضاني حسن، عرفان نظري در آيات وروايات، ص: 274.

والحضرة الواحديَّة وهي مظهر الأحديَّة، وهي أول نسبة للذات[1].

والدوائر كثيرة أولها في عالم الملك أي في الشهادة لذلك كان جبل قاف محيطًا بالأرض وكانت الحيَّة تطوِّقه، إشارة إلى أنَّ الحياة تبتدئ من هذا الجبل ثمَّ يعرج الإنسان حتى يصير روحًا محضًا بين نعم ولا أو أيسٍ وليس، أي بين الوجود والعدم، وبين الأمر والنهي وبين الحياة والموت وبين الجنَّة والنار على سور الأعراف والمعرفة.

إنَّ دائرة الملك التي يتحدَّث عنها كتاب «منطق الطير» هي في هذه الدائرة الأولى على جبل قاف، وعالمها عالم الملك، ومنها يصعد السالك للملكوت وما وراءه من بحار وسماوات، ولكن عليه أن يقطع مراحل أودية عدَّة. فأول تلك الأودية كما ورد هو واد الطلب.

الطلب جهد وتعب، وهو دافع محرِّك من لوازم البدايات. ولا يكون الطلب إلَّا إذا كانت المحبة وهي ميل عن الجادة لذلك قوِّمت بالمعرفة التي هي ثمرتها، فالسالك والواصل متقلِّب دائمًا بين المحبَّة والمعرفة. والوديان السبعة تنحل إلى هذين الواديين في الأخير، ولكن المعرفة أعلى من المحبَّة لأنَّ هذه الأخيرة تطلب المجانس، لذا كانت هذه الطيور تجد في السير وقائدها هو الهدهد الهادي. فهو المربيّ والموصل والمرشد، ولم ينل ذلك إلَّا بفضل استعداده ومعرفته، وحتى عندما اقترعوا لم تصب القرعة إلَّا ما كتب في اللوح، صار بهم الهدهد مربيًا ومرشدًا وناصحًا يحيي قلوبهم فهو حيَّة جبل قاف، يقطع بهم الفيافي والوديان والصحاري والقيعان حتى هلك الكثير منهم، ولم يبق معه حين أشرفوا على جبل قاف إلَّا ثلاثون طائرًا، العدد الذي يرمز للمعرفة التي جاءوا يطلبونها، إنهم جاءوا للبحث عن السيمرغ؛ أي الإله أو الملك، فعددهم ثلاثون وإذا أضفنا إليهم ملكهم العنقاء صار عددهم واحدًا وثلاثين، وهو عدد كلمة إل التي هي الإله بالعربيَّة، كما أنه عدد أداة التعريف «أل» التي تعرف الأسماء.[2]

والقصد هو معرفة الإل؛ أي الإله. فما جاءوا يطلبون إلَّا ذواتهم ولكنهم حجبوا عنها. فلما عاينوا مرآة قلوبهم ظهر السيمرغ فيها، والقلب هو محلُّ المعرفة ولكنهم ذهلوا عن هذه الحقيقة بكثرة العلائق والصدأ، « لولا أنَّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض»[3]، فلما جليت مرآة قلوبهم عاينوا محبوبهم ومعروفهم فيها، « ما وسعني قلبي ولا سمائي

[1]- كرماني علي رضا، عرفان نظري، ص: 37.
[2]- بنعرفة عبد الإله، جبل قاف، ص: 229.
[3]- المجلسي بحار الأنوار، ج60، ص: 332.

ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»[1]، والطيور ما هي في الواقع إلاَّ الإنسان ذاته؛ أي أن آدم لمَّا بدأ في التلطف تنازعته طيوره المتعددة وغطت أسرابها قلبه الموحّد عن معاينة طائر قلبه العنقاء فوق جبل قاف.

قاف الرّحلة الإنسانيّة تأويلٌ وعروج

إنَّ مقالات هذا منطق الطير 45، والسورة الوحيدة التي آياتها 45 هي سورة قاف، كما أنّ عدد آدم 45، فهو قاف هذه الرحلة العرفانيَّة، وكون جبل قاف محيطًا بالأرض معناه أرض الإنسان والإحاطة لا تكون إلاَّ للعلم والمعرفة ومحلّها القلب، فمن لم يتحقَّق بألف التوحيد التي في قلب قاف لن يصل إلى ذلك الجبل، فيقول له حاجب العزَّة قف فلقد أسقطت ألفك من قاف[2].

الجبل إذن هو القلب والأرض التي يحيط بها هي الإنسان أي آدم الكامل، وبعبارة هو رمز لجبل القلب في منزل القرب، هو جبل القلب، بل هو جبلة القلب المحمدي الذي جُبل على التوحيد، وسورة قاف هي سورة القرآن المجيد التي تتحدث عن الخلق الأول؛ أي آدم ﴿ **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[3]، ولبس الخلق الجديد هو الصورة المحمدية المحتجبة في آدم، هذا ومن باب الإشارة في قوله تعالى﴿ طه ﴾[4]، يا طاهرًا بنا هاديًا إلينا أو ياطائف كعبة الأحديَّة في حرم الهوسة وهادي الأنفس الزكيَّة إلى المقامات العليَّة، وقيل: إنَّ ﴿ط﴾ لكونها بحساب الجمل تسعة وإذا جمع ما انطوت عليه من الأعداد، أعني الواحد والإثنين والثلاثة، وهكذا إلى التسعة بلغ 45 إشارة إلى آدم لأن أعداد حروفه كذلك، و هـ لكونها بحساب الجمل خمسة وما انطوت عليه من الأعداد يبلغ خمسة عشر إشارة إلى حوا بلا همز، والإشارة بمجموع الأمرين إلى أنه صلى الله عليه وآله أبو الخليقة وأمّها فكأنه قيل: يا من تكوَّنت منه الخليقة، وقد أشار إلى ذلك العارف ابن الفارض بقوله على لسان الحقيقة المحمديَّة:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي منه معنى شاهد بأبوتي

وقال في ذلك الشيخ عبد الغني النابلسي:

طه النبـيُّ تكوَّنت من نوره كلُّ البريَّة ثم لو ترك القطا[5]

---

[1]- المجلسي بحار الأنوار، ج55، ص: 39.
[2]- إذا نزعنا حرف الألف من كلمة قاف تصبح قف.
[3]- سورة ق، الآية: 15.
[4]- سورة طه، الآية: 1.
[5]- الآلوسي محي الدّين، روح المعاني، ج16، ص: 209.

علوم المبدأ
ILMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

لذلك كان العود في رحلة السيّر إلى العنقاء رجوع إلى الأصل المحتدّ فكان القرآن عليه لا لشقاء المسير والسّير بما هو مسيرٌ وسير بل ﴿**مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**﴾[1]،أي إلّا لتذكر من يخشى أيام الوصال التي كانت قبل تعلق الأرواح بالأبدان وتخبرهم بأنّها يحصل نحوها لهم لتطيب أنفسهم وترتاح أرواحهم، أو لتذكرهم إياها ليشتاقوا إليها وتجري دموعهم عليها، ويجتهدوا في تحصيل ما يكون سببًا لعودها ولله تعالى در من قال:

سقى الله أيامًا لنا ولياليا مضت فجرت من ذكرهن دموع.

فيا هل لها يومًا من الدهر أوبة وهل لي إلى أرض الحبيب رجوع[2]

من هنا قال جلال الدّين الرّومي:

بشنو اين نى چون شكايت مى‌كند از جدايى‌ها حكايت مى‌كند

كز نيستان تا مرا ببريده‌اند در نفيرم مرد و زنناليده‌اند

سينه خواهم شرحه شرحه از فراق تا بگويم شرح درد اشتياق

هر كسى كو دور ماند از اصل خويش باز جويد روزگار وصل خويش[3]

أي:

استمع للناي غنى وحكى شفّه الوجد وهدراً فشكا

مذ نأى الغاب وكان الوطنا ملأ الناس أنيني شجنا

أين صدرٌ من فراق مُزّقا كي أبث الوجد فيه حرقا

من تشرده النوى من أصله يبتغي الرجعى لمغنى وصله[4]

فـ ق سورة هذا القلب المحمدي المنيب: ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ**﴾[5]، وقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[6]، فهو صاحب القلب المنيب دائم الشهود.

---

[1]- سورة طه، الآيتان: 2-3.

[2]- الآلوسي محي الدّين، المصدر نفسه، ص: 210.

[3]- الرومي جلال الدين، المثنوي، الدفتر الأول، ب: 1 – 4.

[4]- عزام عبد الوهاب، زهير سالم، مركز الشرّق العربي، للدراسات الحضارية والاستراتيجية ، على الرابط:
https://www.asharqalarabi.org.uk/ruiah/qutuf-17.htm

[5]- سورة ق، الآية: 33.

[6]- سورة ق، الآية: 37.

كما أنَّ عدد الحكايات التي ساقها العطَّار في المقالات المذكورة 181، وهذا هو عدد كلمة «قاف». وهذه الأعداد لم تكن اعتباطيَّة بل كانت لها رمزيَّتها الكبرى في فهم هذه الرحلة، فالقلب هو الملك والإله على أمَّة الطيور ودائرة ملكه هي الأرض وسرير ملكه وعرشه على قمة جبل قاف، والأمَّة هي الجوارح كلُّها التي فارقت عنصريَّتها وتلطَّفت فصارت طيورًا، هذه هي مملكة منطق الطير، مملكة لغة الأرواح ودواوين الملك سبعة هي أعضاء التكليف في دائرة الشريعة، وهي وديان السير في دائرة الطريقة، وهي الأسماء السبعة الأمهات في دائرة الحقيقة، أمَّا العنقاء أو السيمرغ فهو التماهي الأعظم والهويَّة العارية عن كلِّ شيء والسارية في كلِّ شيء[1]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[2].

لا تظنّوا الموت موتا إنه لحياة هي غايات المنى

ولا ترعكم فجأة الموت فما هي إلَّا نقلة من ههنا[3].

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن حنبل أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، الدار البيضاء، 2024.
2. ابن عربي محي الدّين، تفسير ابن عربي، انتشارات إشراق، قم، 1386 هـ ش.
3. الآلوسي محي الدّين، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002.
4. الآملي حسن زاده، ممد الهمم در شرح فصوص الحكم، انتشارات قائم، طهران، 1398 هـ ش.
5. الآملى حيدر بن على، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2012.
6. بحر العلوم مهدي، رسالة السّير والسّلوك، دار المحجّة البيضاء، بيروت، 1999.
7. البدليسي عمّار بن محمد، بهجة الطّائفة وصوم القلب، تحقيق بدين إدوارد، نشر فرانز شتاينر، بيروت، 1999.
8. بديع محمد جمعة، منطق الطير، دار الأندلس، بيروت، 2008.

[1]- بنعرفة عبد الإله، جبل قاف، ص: 229.

[2]- سورة فاطر، الآية: 15.

[3]- الشعراني، العهود المحمديَّة، ص: 888.

9. بن عرفة عبد الإله، جبل قاف، مطبعة عكراش، الرّباط، 2002.

10. بورنامداريان تقي، داستان بيامبران در كليات شمس، انتشارات سخن، طهران، 1402 هـ ش.

11. ترجمه رساله الانوار و رساله ای به امام رازی ، محیی الدین ابن عربی ، تصحیح نجیب مایل هروی، انتشارات مولی، طهران، 1385هـ ش.

12. الترمزي محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق شعيب أرنؤوط، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009.

13. الجامي عبد الرحمن، هفت أورنگ، تحقيق دادعليشاه، جابلقا، نشر ميراث مكتوب، طهران، 1373.

14. الجيلاني عبد القادر، سرّ الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

15. الخميني روح الله، تعليقات على شرح الفصوص الحكم ومصباح الانس، ، دفتر تبليغات اسلامي، قم ، 1410 ق.

16. الخميني روح الله، تقريرات فلسفه، مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خمينی، طهران، 1385 هـ ش.

17. الخميني روح الله، شرح چهل حديث، مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خمينی، طهران، 1388 هـ ش.

18. الخميني روح الله، كشف الاسرار، من دون مشخّصات.

19. الخوارزمی حسين، شرح فصوص‌الحكم، تصحيح نجيب هروي، نشر مولی، طهران، 1393هـ ش.

20. رامپوری محمد غياث الدين، غياث اللغات، تصحيح محمد دبيرسياقي، انتشارات اميركبير، طهران، 1388 هـ ش.

21. رمضاني حسن، عرفان در آيينه قرآن وروايات(عرفان نظری)، نشر پژوهشگاه علوم وفرهنگ اسلامي، قم،1401هـ ش.

22. الرّومي جلال الدّين، المثنوي، تصحيح نيكلسون رلند الين، نشر ميراث مكتوب، طهران، 1393 هـ ش.

23. الريشهري محمدي محمد، ميزان الحكمة، انتشارات دار الحديث، طهران، 1395 هـ ش.

24. السّهروردي عمر، عوارف المعارف، تحقيق وهبة توفيق، دار الثقافة الدينيَّة، مصر، 2006.

25. الشّعراني عبد الوهاب، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمديَّة، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1973.

26. شفيعي كدكني محمد رضا، تازيانه سلوك، انتشارت آگاه، طهران، 1399 هـ ش.

27. صدر الدّين الشيرازي محمد، شرح أصول الكافي، انتشارات بيدار، قم، 1376 هـ ش.

28. صدر الدين الشيرازي محمد، إيقاظ النّائمين، تحقيق محسن مؤيّدي، مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگی. انجمن اسلامی حكمت و فلسفه ايران، طهران، 1361 هـ ش.

29. صدر الدّين الشيرازي محمد، تفسير القرآن الكريم، انشارات بيدار، قم، 1374هـ ش.

30. صدر الدّين القونوي، شرح فصوص الحكم، انتشارات إشراق، قم، 1386 هـ ش.

31. الصدوق محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت، 1997.

32. الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار ومؤسَّسة الأعلمي، بيروت، 2000.

33. الطهراني محمد حسين، رسالة لبّ اللباب، دار المحجّة البيضاء، بيروت، 1999.

34. العجلوني إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.

35. عزام عبد الوهاب، زهير سالم، مركز الشّرق العربي، للدراسات الحضارية والاستراتيجية ، على الرابطwww.asharqalarabi.org.xk

36. عزام عبد الوهاب، فصول من المثنوي، مؤسسة هنداوي، بيروت، 2013.

37. العطار فريد الدين، الهي نامه، تحقيق شفيعي كدكني، انتشارات امير كبير، طهران، 1398هـ ش.

38. العطار فريد الدّين، منطق الطير، تحقيقي شفيعي كدكني، انتشارات سخن، طهران، 1400 هـ ش.

39. فروزانفر بديع الزمان، أحاديث وقصص مثنوي، انتشارات امير كبير، طهران، 1393 هـ ش.

40. فريد الدين العطار، منطق الطير، دار الأندلس، بيروت، 2002.

41. القاوقجي محمد بن خليل، اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1416 ق.

42. القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيريَّة، تحقيق محمود بن شريف، انتشارات بيدار، قم، 1374 هـ ش.

43. القمي عباس، مفاتيح الجنان، دار المحجَّة البيضاء، بيروت، 2008.

44. الكاشاني عبد الرزّاق، اصطلاحات الصوفيَّة، تصحيح كمال إبراهيم، انتشارات بيدار، قم، 1370 هـ ش.

45. الكاشاني عبد الرزّاق، كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر، تحقيق أحمد فريد مزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

46. الكاشاني عز الدّين، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، تصحبح وترجمة جلال‌الدين همايي، نشر وزات فرهنگ وإرشاد، طهران، 1390 هـ ش.

47. الكاشاني محسن الوافي، مؤسَّسة الإمام علي (ع) ، إصفهان، 1384 هـ ش.

48. كرماني علي رضا، عرفان نظري، كرّاس تعليمي في مؤسَّسة الإمام الخميني (ره)، قم، 1384 هـ ش.

49. الكلابادي أبو بكر، التّعرف لمذهب أهل التصوُّف، تحقيق آربرى، آرتور جان، الوراق للنشر، بغداد، 2010.

50. الكلابادي أبو بكر، التّعرف لمذهب أهل التصوف، محمد جواد شريعت، انتشارات أساطير، طهران، 1371 هـ ش.

51. مبروك أمل، فلسفة الموت، دار التنوير، بيروت، 2008.

52. المجلسي محمد باقر، بحار ألأنوار، دار الوفاء، بيروت، 1980.

53. معتمدي مسعود تحليل موت ارادى در مثنويهاى عطار2 ، مجلة كيهان انديشه 1378 العدد 84.

54. معتمدي مسعود، تحليل موت ارادى در مثنويهاى عطار1 ، كيهان انديشه 1378 ، العدد 83.

55. معتمدي مسعود، مرگ ارادى (تسلط بر نفس)، پژوهشنامه عرفان، دو فصلنامه، السنة التاسعة، 1379 هـ ش، العدد 18.

56. المولوي يوسف بن أحمد، المنهج القوي في شرح المثنوي، المطبعة الوهيبة، مصر، 2023.

57. ميانجي على احمدي، شرح دعاء أبي حمزة، تحقيق مهدي هوشمند، انتشارات دار الحديث، طهران، 1399 هـ ش.

58. الميبدي رشيد الدّين، كشف الأسرار وعدّة الأبرار، انتشارات امير كبير، طهران، 1373 هـ ش.

59. النجم الرازي محمد، مرصاد العباد، انتشارات سخن، طهران، 1386هـ ش.

60. نظامي گنجوى، مخزن الأسرار، تصحيح وحيد دستجردي، انتشارات قطرة، طهران، 1384 هـ ش.

61. الهجويري علي بن عثمان، كشف المحجوب، تصحيح جوكوفسكي، طهران، انتشارات طهوري، 1371هـ ش.

62. الهمداني عين القضاة، التمهيدات، انتشارات اساطير، طهران، 1397هـ ش.

63. يثربي يحيي، عرفان نظري، بوستان كتاب، قم، 1381 هـ ش....

علوم المبدأ
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

Abstract:

1. Death Before Death in the Sxfi Edxcational Heritage and Bxddhist Nirvana and its Reflection in Persian Systems

2. The article deals with the idea of death after death in Sxfi thoxght, or what is expressed as volxntary death and what follows it of a renewed birth of hxman and sxrvival in God, by defining the concepts and explaining their specific implications, and approaches that with what is present in the spiritxal heritage of religions which means “The Nirvana” in Bxddhist thoxght. Also, it soxght to answer a main qxestion: What is the reality of death after death and annihilation in God in Islamic Sxfi thoxght and to what extent does it share with Bxddhist Nirvana, which means absolxte silence (extinction)? How was that reflected in Sxfi edxcational heritage?

3. The researcher xsed the descriptive analytical method, reviewing evidences and texts of great theosophists and mystics.